

الرَّسَالَة ٣١٥

مَنْ هُوَ الْأَعْظَمُ؟

(Arabic – Who is the greatest?)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضوعُهُ: مَنْ هُوَ الْأَعْظَمُ؟

ومن إنجيل متى الأصحاح الثامن عشرَ نقرأ الأعدادَ من الأول إلى الرابع:

"في تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين: فمن هو أعظم في ملكوت السموات؟. فدعا يسوع إليه ولدا وأقامه في وسطهم. وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد. فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد. فهو الأعظم في ملكوت السموات".^١

قد يسأل سائل: هل سترى في السماء حين نصل إليها جماهيرَ غفيرة من المؤمنين يستوطنون الملكوت الأبدى؟. الإجابة: نعم. وبكل تأكيد. وما يؤكد ذلك ما رآه يوحنا اللاهوتي وسجله بالأصحاح السابع من رؤياه. إذ كتب يقول: "بعد هذا نظرتُ وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدّه. من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة. واقفون أمام العرش وأمام الخروف. ومُتسربلين بثياب بيض".^٢

لقد قال الرب يسوع لتلاميذه أثناء تجسده على الأرض. ما سجله يوحنا البشير في إنجيله بالأصحاح الرابع عشر. وهذا نصه: "أنا أمضي لأعد لكم مكانا. وإن مَضَيْتُ وأعددتُ لكم مكانا أتى أيضا وأخذكم إلي. حتى حيثُ أكون أنا تكونون أنتم أيضا. وتعلمون حيثُ أنا أذهب وتعلمون الطريق". قال له توما: "يا سيّد. لسنا نعلم أين نذهب؟. فكيف نقرر أن نعرف الطريق؟". قال له يسوع: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الأب إلا بي". وفي صلاته الشفاعية بالأصحاح السابع عشرَ بإنجيل يوحنا قال يسوع: "أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيثُ أكون أنا لينظروا مجدِي الذي أعطيتني لأتلك أحببتني قبل إنشاء العالم".^٣

وربما يسأل سائل: إذا كان وارثو الحياة الأبدية عددهم لا يحصى فكيف يا ترى يكون عدد الذين سيستقبلهم الجحيم الأبدى؟. الإجابة: إن كلمة الله تؤكد لنا أن عددهم سيكون أضغافاً مضاعفة. فلقد ذكر متى البشير في إنجيله بالأصحاح السابع قول الرب يسوع بموعظته على الجبل للجُموع التي كانت محتشدة لتسمع نصيحته لهم: "ادخلوا من الباب الضيق. لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه". "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة.. وقليلون هم الذين يجدونه".^٤

كان سؤال التلاميذ للسيد المسيح الذي وردَ بإنجيل متى الأصحاح الثامن عشر. لا يخلو من صراحة. كانت الصراحة هي الأسلوب الذي اعتاده تلاميذ يسوع مع معلمهم. ولم يتغير ذلك الأسلوب حتى قيامته وظهوره لهم. لم يتغير لأنه أحب خاصته إلى المنتهى. وكان السؤال لا يخلو من اهتمام كل واحد منهم بذاته. فلقد اختار الرب يسوع تلاميذه بشرًا عاديين ليس فيهم من هو كامل. ولم يكونوا ملائكة بأجنحة على حد تعبير المثل الدارج. وكان هذا هو نص السؤال الذي وجهه التلاميذ إلى معلمهم: "فمن هو أعظم في ملكوت السموات؟". فدعا يسوع إليه ولدا وأقامه في وسطهم. ثم أجابهم بقوله: "الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد. فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد. فهو الأعظم في ملكوت السموات".^٥

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ١٨: ١ - ٤ ،

^٢ رؤيا يوحنا اللاهوتي ٧: ٩

^٣ إنجيل يوحنا ١٤: ٢ - ٦ & ١٧: ٢٤

^٤ إنجيل متى ٧: ١٣ - ١٤

^٥ إنجيل متى ١٨: ٤

وبالتأمل في إجابة الرب يسوع على سؤال تلاميذه عن مَنْ هُوَ أعظمُ في ملكوت السموات. وأنَّ الأعظمَ هُوَ الذي يضع نفسه مثل ولد. نحاول استخلاص صفات العظمة لمن يضع نفسه مثل ولدٍ وسنجزها في اثنتين:

أولاً: الأَوْلَادُ يَمْتازُونَ بِالبِساطَةِ في أَفكارِهِمْ وَرُدُودِ أَفعالِهِمْ.. فهُمُ يُسارِعُونَ إلى الغُفرانِ والتسامُحِ. لا يُدبِرُونَ مَؤامراتٍ لَلفَتِكَ بِأعدائِهِمْ بلْ على العكس. يَفكرُونَ كيفَ يَعودُونَ إلى صِداقةٍ افتقدوها عِندما ناصَبُوا العِداءَ لِلَّذينَ سَبَقَ أَنْ أَحَبَّهُمْ. وَذلكَ لا تَراهُ كَثيراً في عَالمِ الكِبارِ ما لَمْ يَمثلُوا بِالرُوحِ القُدسِ. مِثالُ ذلكَ ما حَدثَ مَعَ التلاميذِ. فبانجيل لوقا الأَصحاحِ التاسِعِ جاءَ أَنَّ الرَّبَّ يَسوعَ: " تَبَّتْ وَجْهَهُ لِيَنطَلِقَ إلى أُورُشليمَ وأرسلَ أَمامَ وَجْهِهِ رُسلًا. فَذهَبُوا وَدَخَلُوا قَريَةً لِلسامِريينَ حَتى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقبلوهُ لِأَنَّ وَجْهَهُ كانَ مُتَجهاً نَحوَ أُورُشليمِ. فَلَمَّا رَأى ذلكَ تلميذاهُ يَعقوبَ وَيوحنا. قالَا: يا رَبُّ. أَترِيدُ أَنْ نَقولَ: أَنْ تَنزَلَ نارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَنفِئُهُمْ؟. كَما فَعَلَ إيلياَ أَيضاً؟ فَالتفتَ وَانتهَرَهُما. وَقالَ: لستَما تَعلمانَ مِنْ أَى رُوحِ أَنتَما. لِأَنَّ ابْنَ الإنسانِ لَمْ يَأتْ لِيَهلكَ النَّاسَ بلْ لِيُخَلِّصَ".^١

وبالعهد القديم بسفر صموئيل الأول بالأصحاح الرابع والعشرين جاءَ عَن شاولَ المَلِكِ. أَنَّهُ كانَ يكرَهُ داوودَ وَدَبِرَ لَهُ أَنْ يَقْتلَهُ. وَلَكِن قَلبَ داوودَ نَحوَ شاولِ كانَ كَقَلبِ وَلدِ صَغيرٍ وَلَمْ يَضْمُرْ ضَغينةَ ضِدِّ شاولَ المَلِكِ. إِذِ مَكتوبٌ: " فَقالَ رَجالٌ داوودَ لَهُ هُوذا اليَومَ الَّذي قالَ لَكَ عَنهُ الرَّبُّ. هانِذا أَدفعُ عَدوَّكَ لِيَدِكَ. فَتَفعلُ بِهِ ما يَحسُنُ في عَينِكَ. فَقامَ داوودُ وَقَطَعَ طَرفَ جَبَّةِ شاولَ سِراً. فَقالَ لِرجالِهِ: حاشا لي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذا الأَمْرَ بِسَيدِي بِمَسيحِ الرَّبِّ. فامدَّ يَدِي إِلَيهِ لِأَنَّهُ مَسيحِ الرَّبِّ هُوَ. فَوِيحَ داوودَ رَجالَهُ بالكلامِ. وَلَمْ يَدعُهُمُ يَقومُونَ على شاولِ. وَأما شاولُ فَقامَ مِنَ الكَهفِ وَذهبَ في طَريقِهِ. ثُمَّ قامَ داوودَ بَعْدَ ذلكَ وَخَرَجَ مِنَ الكَهفِ^٢

إِنَّ الوَحىَ يُسجَلُ مَوقِفاً مُشرِفاً لِداوودِ. وَيَدلُّ على نِقاوَةِ قلبِهِ الَّذي لا يَحقدُ. بلْ على العكسِ يُظهِرُ حُبَّاً لِأعدائِهِ حَتى لو دَبَرُوا المَكايدَ ليقْتلوهُ. "لَقَدْ نادى داوودُ وَراءَ شاولَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الكَهفِ قائِلاً: يا سَيدِي المَلِكِ. وَلَمَّا التَفَتَ شاولُ إلى وَرائِهِ خَرَّ داوودُ على وَجْهِهِ إلى الأَرْضِ وَسَجَدَ. وَقالَ داوودُ لِشاولَ: لِمَذا تَسْمَعُ كلامَ النَّاسِ القائِلينَ: هُوذا داوودُ يَطْلُبُ أَدبَتِكَ؟. هُوذا قَدْ رَأَتِ عَينُكَ اليَومَ. هذا كَيفَ دَفَعَكَ الرَّبُّ اليَومَ لِيَدِي في الكَهفِ. وَقيلَ لي أَنْ أَقتَلَكَ. وَلَكِنِّي أَشَفقتُ عَلَيكَ. وَقلتُ لا أمدُّ يَدِي إلى سَيدِي لِأَنَّهُ مَسيحِ الرَّبِّ هُوَ. فَانظُرْ يا أبى انظُرْ أَيضاً طَرفَ جَبَّتِكَ بِيَدِي. فَمِنَ قِطْعى طَرفِ جَبَّتِكَ وَعَدَمَ قِتلِي إِيّاكَ. اعلمْ وانظُرْ. أَنَّهُ لَيسَ في يَدِي شَرٌّ ولا جَرمٌ وَلَمْ أَخطِئُ إِلَيْكَ وَأَنتَ تَصيدُ نَفْسِي لِتاخُذها. فَلَمَّا فرَغَ داوودُ مِنَ النَكلِ بهذا الكلامِ إلى شاولَ قالَ شاولُ: أَهذا صَوْتُكَ يا ابْنى داوودَ؟. وَرَفَعَ شاولُ صَوْتَهُ وَبكى. ثُمَّ قالَ لِداوودَ أَنتَ أَبرُّ مِنِّي. لِأَنَّكَ جازيتَنى خَيراً وَأنا جازيتُكَ شَرًّا".^٣

ثانياً: الأَوْلَادُ لِيُساوُوا عبيداً لِلمالِ ولا يَسعونَ مِنْ أَجلِهِ.. إِنَّهُ شَرتُ هامَ لِيكونَ الإنسانُ عَظيماً. وَهُوَ تَطهيرُ القَلبِ مِنْ مَحَبَّةِ المَالِ. حَدثنا لوقا البشيرُ في إنجيلِهِ أَنَّ الرَّبَّ يَسوعَ كانَ يَوماً في الهيكلِ: "وتَطَلَعَ فرأى الأَغنياءَ يَلقونَ قَرايبَتَهُمْ في الخِزانَةِ وَرَأى أَيضاً أَرمَلةً مَسكينَةً أَلقتَ هُنَاكَ فلسينَ فَقالَ بِالْحَقِّ أَقولُ لَكُمُ إِنَّ هَذِهِ الأَرمَلةَ الفَقيرةَ أَلقتَ أَكثَرَ مِنَ الجَميعِ. لِأَنَّ هَؤلاءِ مِنْ فَضلتِهِمُ أَلقوا في قَرايبينِ اللهُ. وَأما هَذِهِ فَمِنَ أَعوازِها أَلقتَ كُلَّ المَعيشةِ الَّتِي لَها". هَؤلاءِ الأَغنياءُ يَحَبونَ بِأموالِهِمُ. أَمّا تِلْكَ المَراةُ الَّتِي لَمْ تَتَّقِ لِنفِسيها شَيباً فَبِإيمانِها كانتَ تَحيا. قالَ الرَّبُّ يَسوعُ بِمَوعِظَتِهِ على الجَبَلِ بِانجيلِ مَتى الأَصحاحِ السَّادِسِ: "لا تَكنزُوا لَكُمُ كَنوزاً على الأَرْضِ. حَيتُ يُفسدُ السَّوسُ وَالصِّدأُ وَحَيتُ يَنقَبُ السَّارقونَ وَيَسرقونَ. بلْ اكنزُوا لَكُمُ كَنوزاً في السَّمَاءِ حَيتُ لا يُفسدُ سَوسٌ ولا صِداً وَحَيتُ لا يَنقَبُ سارقونَ ولا يَسرقونَ. لِأَنَّهُ حَيتُ يَكونُ كَنزُكَ هُنَاكَ يَكونُ قَلْبُكَ أَيضاً". "لا يَقدرُ أَحَدٌ أَنْ يَخديمَ سَيدَينَ لِأَنَّهُ إِما أَنْ يُبغِضَ الوَاحِدَ وَيُحِبَّ الأَخرَ أَوْ يُلازِمَ الوَاحِدَ وَيَحقرَ الأَخرَ لا تَقدرُونَ أَنْ تَخدمُوا اللهُ وَالمالَ".^٤

عزيرى القارئ: أَدعوكَ لِتَشترِكَ مَعى في تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبانا السَّماوى.. أَشكرُكَ مِنْ أَجلِ حُبِّكَ الَّذي أَسرَّيَ. أَشكرُكَ مِنْ أَجلِ نورِكَ الَّذي هَدانِي. أَشكرُكَ لِئَلَّا يَكونَ الوَاحِدُ الَّذي بِدَمِهِ أَنقَذَنى مِنَ الهَلِاكِ الأَبديِّ وَوَهَبَنى الحَياةَ الأَبديَّةَ. أرفَعُ صَلاتِي في اسمِ يَسوعَ مَكتِلاً على وَعَدِكَ يا مَنْ قَلتَ: مَنْ يَقْبَلُ إلى لا أُخرِجُهُ خارِجاً.

أخى القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدتَ سَماعَ تِلْكَ الرِّسالةِ أَوْ غَيرها سَتجدُ ذلكَ في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ٩: ٥١ - ٥٦

^٢ سفر صموئيل الأول ٢٤: ٢ - ٧ & ٨ - ٢٢

^٣ سفر صموئيل الأول

^٤ إنجيل لوقا ٢١: ١ - ٤ ، إنجيل متى ٦: ١٩ - ٢١ & ٢٤